هل ينبغي على قصيدة الهايكو أن تكون تصويرية؟

تناولتُ في مقالة سابقة **"ما الذي تبقى من المدرسة التصويرية في الشعر؟"** بعض ملامح المدرسة التصويرية، وسأتناول الآن الجانب التصويري في قصيدة الهايكو أو الهكيدة، وكان قد دعاني صديقي الشاعر التونسي نسيم السعداوي للتعليق على موضوع طرحه في نادي الهايكو بتونس حول التصوير أو الصورة في قصيدة الهايكو. وسأتطرق أولا إلى جانب من الجوانب السلبية في طريقة التصوير (الموضوعية) لدى المدرسة التصويرية، ثم سأتناول التصوير أو طبيعة الصورة في قصيدة الهايكو.

الكثير من الصور التي يتم رسمها في المدرسة التصويرية صور باطنية، بالمعنى الديني والفلسفي والسلوكي والنفسي لهذا المصطلح، وأيضا بمعنى "المعنى في بطن الشاعر"، أي أنها صور موغلة في الذاتية – التي كانت من سمات الحركات الأدبية والفنية الحداثية بوجه عام – لدرجة أن القارئ قد لا يستطيع الوصول إلى تأويل

متماسك ومترابط للصورة المرسومة في القصيدة، إذ أن الشاعر الذي قد يكون في حالة رصد لصورة تنتمي للعالم الخارجي – أي تقع خارجه – يقوم بإضافة ملامح لها نابعة من داخله فقط، وكأنه يحدثنا بلغة حلم لا سبيل إلى تفسيره أو تأويله.

كما أن ربط قصيدة الهايكو بالمدرسة التصويرية في الشعر ربطٌ ضد حركة التاريخ ذاتها ومنافٍ للتطورات والتشعبات التي لحقت بقصيدة الهايكو ذاتها. وبالرغم من أن المدرسة التصويرية استفادت من شعر الهايكو الياباني في بلورة بعض مبادئها، نجد أنها سرعان ما انطلقت إلى آفاق أخرى.

وتناولت في مقالة أخرى بعنوان "**هل الصورة شيء بصريٌّ؟**" مفهوم الصورة وبيَّنتُ أن الصورة لا تقترن بالطابع البصري ولا بالوجود الموضوعي المتحقق خارجنا، فهي ترتبط بالمنظور الذي يشكّلها من عناصر بصرية وغير بصرية ومن انطباعات إنسانية ومن دواخل النفس البشرية

وكوامنها، وأن الآداب والفنون تتلاعب بالعنصر البصري، أو بالأحرى تقوم بتوظيفه والتلاعب بمكوناته والإضافة إليها بهدف خلق شيء جديد يجمع بين الحواس المختلفة وبين الذاتية والموضوعية وبين ما يمكن رصده من خلال الحواس وما لا سبيل أمام هذه الحواس لترصده.

ويسري هذا الأمر على الصورة عندما نتحدث عن قصيدة الهايكو ونقول إنها ترتبط بالمشهدية أو التصويرية وضرورة جمعها بين مشهدين أو صورتين. ويبدو أن بروز الجانب التصويري في قصيدة الهايكو اليابانية في عين القارئ العربي الذي يغيب عنه الجانب الروحاني أو الحياتي أو الفلسفي الذي تدل عليه هذه الصورة في القصيدة اليابانية – يبدو أن ذلك جعل الشاعر العربي يظن أن قصيدة الهايكو تقوم على تصوير مشهد بصري موضوعي دون ربطه بمشاهد داخلية أو وجدانية أو فلسفية، الخ.

الصورة في القصيدة اليابانية – حتى وإن غاب ذلك عنا نحن كقراء عرب – صورة ثنائية تجمع بين الذات

والموضوع، الخارج والداخل، الوجود البصري والوجود المعنوي/ الرمزي/ الفلسفي/ الديني، الخ.

وبما أننا كعرب لنا ثقافتنا الخاصة، وبما أن الشعر والأدب عموما يقومان على التفرد وعلى قيام الأديب بتشكيل ملامح فلسفة حياتية وإنسانية خاصة في مشروعه الأدبي، وبما أن التراث الشعري العربي الممتد من عصر ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحالي يختلف عن التراث الشعري في الثقافات الأخرى، وبما أننا نريد لقصيدة الهايكو في اللغة العربية أن تكون عربية الشكل والهوى، لا بد من توسيع مفهوم الصورة، أو بالأحرى لا بد للشعراء العرب من إدراك أن مفهوم الصورة متسع بطبعه، ولا يمكننا أن نحصره في نطاق الجانب البصري الضيق الذي سيكون عبئا على قصيدة الهايكو في هذه الحالة. فقد تكون الصورتان المتداخلتان في قصيدة الهايكو إحداهما بصرية والأخرى غير بصرية، وقد تكونان بصريتين، وقد تكونان غير بصريتين. المهم أن هناك صورتين أو مشهدين أو حالتين تتداخلان وتستدعي إحداهما

الأخرى وينصهران في بوتقة منظور الشاعر الذي يجمع بينهما بناء على مقومات فنية لا بد أن تكون متجسدة في القصيدة ولها وجودها الموضوعي الذي يقع خارج "بطن الشاعر".